المناسبة في القرآن الكريم وأثرها في الاستنباط[1]

(نماذج من سورة الكهف)

الطالب: الهاشمي عبد المالك زين الدين إشراف الدكتور خالد اسماعيل
جامعة وهران1- أحمد بن بلة

الملخص

هدفت هذه الدراسة الى تسليط الضوء على المناسبة وأثرها في الاستنباط من القرآن الكريم (نماذج من سورة الكهف) وقد توصلت إلى تحديد بعض الآليات في الاستنباط من خلال "التناسب" بين آيات سورة الكهف منها:

1. استقراء المعاني المختلفة من خلال المناسبة بين الآيات يفيد في استنباط المعنى المشترك أو المقصد العام للسورة.
2. بعض المفردات بينها عموم وخصوص، وإعمال هذه العلاقة يفيد في استنباط الرابط المعنوي في المناسبة، مثل لفظ "الكتاب" في بداية سورة الكهف ولفظ "الوحي" في نهايتها.
3. تكرار اللفظ أو مادته بتصريفات متعددة مظهر من مظاهر المناسبة بين الآيات وفي الوقت نفسه يُستنبَط منه معاني خفية، ومثاله: لفظ "فأردت أن أعيبها" يعني السفينة وتكرره بصيغة أخرى وهي "فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه" عن الطفل الذي قتله الخضر عليه السلام، وتكرار اللفظ مرة ثالثة في "فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما" أي كنز أبناء الرجل الصالح.
4. إحكام النظر في السورة كلها يكشف عن الصلة فيما بين الآيات وفيما بين المقاطع مما يثري المعاني المستنبطة.

- **الكلمات المفتاحية:** المناسبة – الاستنباط - الرابط المعنوي – الاستقراء – المقاطع – التلازم الذهني – الدلالات الخفية.

[1] تاريخ الايداع : 2017/11/12 تاريخ الموافقة : 2018/01/17

Abstract:

The "interconnection" and its Impact in the elicitation (inference) of the Quran Case-study: Sura El- Kahf

This study aims to spot the light on the "interconnection" and its effect within the elicitation in the Quran (Sura Al-Kahf as a case-study). The study reached to identify some mechanisms in the elicitation through the "interconnection", including:

1. he induction of different meanings through the events "interconnection" between the verses helps in deducing the common meaning or the general intention of the Sura.

2. Some of the words convey general and specific significances, and exploiting this relationship is useful in deriving the moral link, depending on the "interconnection", such as; the word "book" at the beginning of sura El-kahf and the words of "revelation" at the end.

3. The repetition of the same word or by its significance with various is viewed as an aspect of the "interconnection" features between the verses and at the same time they may inspire other implicit meanings. For example; "I intended to cause defect in it" which refers to the ship and it was repeated in other words; " So we intended that their Lord should substitute for them one better than him", talking and referring to the child killed by " Khadir " (Peace be upon him), moreover, it was repeated in; " So your Lord intended that they reach maturity and extract their treasure", that refers to the treasure of the pure man's sons.

4 .Sura El-kahf perusal and thinking reveal the link between its verses and passages which enriches the derived meanings.

Key words: *"interconnection", Elicitation, moral link, induction, passages, mental inherence, hidden meanings*

تمهيد:

لا يزال الاشتغال في حقل الدراسات القرآنية يأتي بكل جديد، كلما امتلك الدارس والباحث ناصية القواعد التأصيلية في كل علم وفن ذي صلة بموضوع القرآن الكريم، مع ملاحظة أن الكثير من الدراسات الشرعية – بما في ذلك الدراسات القرآنية – لم تخرج بعدُ عن النمطية القديمة والسائدة إلى اليوم، بل لا يزال يعتري الكثير منها "العاطفية" البعيدة عن الخطاب التأصيلي الذي يخاطب العقل ويتجاوب مع القفزة النوعية للمعرفة الإنسانية المعاصرة.

نعم ! قد يغني في بعض المحطات أن يُستغنى بالخطاب "الوعظي" الملابس للعاطفة، لكن في الدراسات الأكاديمية وبالتزامن مع الكشوفات الحديثة التي اقتحمها العقل الإنساني في مختلف الحقول المعرفية الكونية والإنسانية، لابد من التأصيل والتقعيد الموجهان إلى العقل مباشرة.

يمكن أن يغنينا في الاحتجاج على صدق ثبوت القرآن العظيم بمثل قوله الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ **[الحجر: 9]**، كما يمكن الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ **[القيامة: 17]**، لكن على منهج ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ **[يوسف : 26]** فإنه يتوجب الاستشهاد بأقوال من لا يتهمون بالانحياز في مثل هذا الاحتجاج.

مع أنه أحد المستشرقين المتحاملين على الإسلام فإن جوزيف شاخت [2] يقول : " إنه **ليس هناك من شك في قطعية ثبوت القرآن** وتنزهه عن الخطأ"، ويقول المستشرق وليم ميور [3] :" القرآن هو الكتاب الوحيد في الدنيا الذي **بقي نصه محفوظا من التحريف** طيلة ألف ومائتي عام .. [4]

---

2 ـ الدكتور شخت (1320 - 1390 ه = 1902 - 1970 م) يوسف شخت: Joseph Schakhet مستشرق هولاندي من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، ولد في مدينة راتيبور، بألمانيا. ودرس اللغات الشرقية وتخصص بالعربية. ونال الدكتوراه في الفلسفة عام (1923) ودرس اللغات الشرقية بجامعة فرايبورغ (1927) وانتقل إلى جامعة كونكسبرج (1932) وتجنس بالجنسية البريطانية. ودرس في جامعة أكسفورد وجامعة الجزائر فجامعة ليدن (بهولندة) (1954 - 59) ثم في جامعة كولومبيا بنيويورك. **الأعلام للزركلي (8/ 234)، دار العلم للملايين- بيروت، ط15: أيار/ مايو:2002م.**

3 ـ وليام موير (1234 - 1323 هـ = 1819 - 1905 م) وليم موير: Sir William Muir مستشرق بريطاني اسكتلندي الاصل، أمضى حياته في خدمة الحكومة البريطانية دخل البنغال سنة 1837 وعمل في " الاستخبارات " وتعلم الحقوق في جامعتي جلاسجو Glasgow وايدنبرج Edinburgh وكان " سكرتيرا " لحكومة الهند سنة 1865 – 1868 وتقلد مناصب أخرى. ثم عين مديرا لجامعة ايدنبرج سنة 1885 – 1902

ويقول الباحث الأمريكي مايكل هارت في كتابه المعروف (المائة الأوائل) :" لا يوجد في تاريخ الرسالات كتاب **بقي بحروفه كاملاً دون تحوير سوى القرآن**... بين أيدينا كتاب فريد في أصالته وفي سلامته ، لم يُشكّ في صحته كما أُنزل ، وهذا الكتاب هو القرآن"[5].

إذن فإن ثبوت القرآن الكريم لا جدال فيه عند المسلمين وهو من أساسيات عقيدتهم، ناهيك عند المنصفين من الباحثين غير المسلمين والمستشرقين، والفضل ما شهد به هؤلاء، وتبقى قضية دراسة ما له علاقة بالمحتوى والمضامين هي مثار هذه الدراسة.

لقد اهتم علماء الإسلام بدراسة القرآن الكريم [6] من زوايا مختلفة: تفسيرا واستنباطا وقراءة وتجويدا وأحكاما ولغة... إلى غيرها من الجوانب العديدة التي يمكن أن يُنظر إلى القرآن العظيم من خلالها.

ومن بين أهم الجوانب والحقول التي تعرض لها العلماء **"علم المناسبة"** في القرآن الكريم أو كما تطلق عليه بعض الدراسات "**التناسب في القرآن الكريم**"؛ حيث قام المتخصصون في ميدان الدراسات القرآنية منذ القديم وإلى اليوم بعملية الربط بين مختلف مواضيع القرآن الكريم وأجزائه ومقاطعه: على مستوى السورة الواحدة بين الآيات المختلفة، أو على مستوى السور فيما بينها، بل على مستوى القرآن الكريم كله: مكيه ومدنيه.

كما اهتم العلماء أيضا بعلم "قديم الوجود حديث التأصيل" هو **"علم الاستنباط من القرآن الكريم"**، بحيث بدأت تظهر بواكير التأصيل له في العقود الأخيرة من خلال الدراسات الأكاديمية بالجامعات المشرقية، وبالأخص مع صدور دراسة جامعية تحت عنوان "منهج الاستنباط من القرآن الكريم" لفهد بن مبارك الوهبي بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، بالإضافة إلى مختلف المقالات والمباحث التي كتبها الدكتور

وتوفي بها. له " شهادة القرآن لكتب أنبياء الرحمن – ط " وصنف بالانجليزية كتبا في " السيرة النبوية " و " تاريخ الخلافة الاسلامية " و " تاريخ دولة المماليك في مصر " وله مقالات في شعراء العرب. **ينظر الأعلام للزركلي (8/ 124)**

4 - موقع http://montada.echoroukonline.com/showthread.php?t=313504

5 - قالها المستشرق بودلي، نقلا عن موقع http://www.saaid.net/Doat/dali/40.htm

6 - حتى غير المسلمين اهتموا بالقرآن الكريم وعلومه المختلفة، ينظر في هذا الموضوع ما كتبه الدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن في كتابه **"ماذا يريد الغرب من القرآن؟"**، إصدار مجلة البيان– دار الكتب المصرية– ط1: 1427هـ– 2006م، وكذلك الأطروحة التي تقدم بها الدكتور عمر إبراهيم رضوان بعنوان **"آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره–دراسة ونقد"**، دار طيبة – الرياض، ط1: 1413هـ– 1992م.

مساعد بن سليمان الطيار والتي نشرت في كتب منها: "مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر" و"مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير".

ومن الجدير ذكره: ما يقوم به حاليا "مركز تدبر" للدراسات والاستشارات من عرض للقضايا ذات الصلة بموضوع التدبر والاستنباط من القرآن الكريم، كما هو الحال مع دراسة بعنوان "التدبر حقيقته وعلاقته بمصطلحات" منها مصطلح الاستنباط للأستاذ الدكتور عبد الله عبد الغني سرحان.

من المهم أيضا تسجيل أن معظم العلماء الذين بدأوا يؤصلون لعلم "الاستنباط من القرآن الكريم" قد اتفقوا على أن للاستنباط خصيصة تجعله مباينا للتفسير، على عكس ما تعارفت عليه الدراسات القرآنية القديمة أو حتى بعض الحديثة منها، هذه الخصيصة تتمثل في عمق الاستنباط ووعورة مسلكه مقارنة بالتفسير.

إن أهل الاستنباط يحاولون **استخراج ما خفي** من مكنونات الكتاب العزيز **مع شيءٍ من المعاناة وبذلٍ للجهد** من أجل الوصول إلى تلك الأحكام والفوائد المستخرجة، بل إن المعاني العميقة في باب التفسير لهي "قضايا استنباطية بحتة".

في هذه المقالة يحاول الباحث تجلية المسائل التالية:

1. ضبط مفهوم علم المناسبة في القرآن العزيز مع ذكر لأنواع هذه المناسبة وأمثلة عنها.
2. ضبط مفهوم الاستنباط من الذكر الحكيم وآليات هذا الاستنباط والفرق بينه وبين التفسير.
3. بيان ما للمناسبة في القرآن من علاقة وطيدة بالاستنباط – بل هي إحدى آلياته وطرقه– وأثر ذلك في استخراج الفوائد الجمة من كتاب الله تعالى.
4. جعل سورة الكهف حقلا لهذه الدراسة ومثالا تطبيقيا على ما أصله الباحث، وهذا يعني الاعتماد على نوع واحد من أنواع المناسبة في القرآن الكريم، وهو **التناسب بين الآيات بعضها مع بعض وبين مختلف المقاطع في السورة الواحدة** ، وذلك بناء على أن ترتيب الآيات في السور توقيفي كما هو الإجماع [7] ، وقد تجاوز الباحث قضية ترتيب السور لأنها ليست محل هذه الدراسة.

7 - " الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك وأما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه" **الإتقان في علوم القرآن** ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة : 1394هـ/ 1974 م، **1** / **211** .

لكن قبل الولوج إلى الاستنباط بالمناسبة في سورة الكهف ، لابد من ضبط مفهومي "علم المناسبة" و"علم الاستنباط" ثم العلاقة التي تجمع بينهما توسلا للوصول إلى استثمار تلك العلاقة في الاستنباط.

1. علم المناسبة:

1.1.المناسبة في اللغة:

– عند ابن فارس: "(نسب) النون والسين والباء كلمةٌ واحدة قياسُها **اتِّصال شيءٍ بشيء**. منه النّسَب، سمِّي لاتِّصاله وللاتِّصالِ به. تقول: نَسَبْتُ أنْسُبُ. وهو نَسِيبُ فلانٍ، ومنه النَّسيبُ في الشِّعر إلى المرأة، كأنَّه ذِكْرٌ **يتَّصِل بها**؛ ولا يكون إلاَّ في النِّساءِ. تقول منه: نَسَبْتُ أنْسِبُ. والنّسيبُ: الطريق [المستقيم]، لاتِّصال بعضِه من بعض".[8]

– "وفلان يناسب فلانا فهو نسيبه، أي **قريبه**. وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي **مشاكلة**. ونسبت الرجل أنسبه بالضم نسبة ونسبا، إذا ذكرت نسبه".[9]

وفي تاج العروس:" من المجاز: المناسَبةُ : **المُشَاكَلَةُ**، يقالُ: بين الشَّيْئَين مُنَاسَبَةٌ وتَنَاسُبٌ : أَي **مُشَاكَلَةٌ وتَشَاكُلٌ** . وكذا قولهم : لا نِسْبَةَ بينَهمَا ، وبينهما نِسْبَةٌ قَرِيبةٌ .[10]

"والمشاكلة: المماثلة، وعند أهل البديع: أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته كقوله تعالى: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ ﴾**[التوبة :67]**، وقوله ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾ **[آل عمران: 54]**."[11]

كما " استعمل النسب وهو المصدر في مطلق **الوصلة بالقرابة** فيقال بينهما (نَسَبٌ) أي **قرابة** و جمعه (أَنْسَابٌ) ومن هنا استعير (النِّسْبَةُ) في المقادير لأنها **وصلة على وجه مخصوص** فقالوا تؤخذ الديون من التركة و الزكاة من الأنواع (بِنِسْبَةِ) الحاصل أي بحسابه ومقداره و (نِسْبَةُ)

---

8 - **معجم مقاييس اللغة** لابن فارس ، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة : 1399هـ - 1979م، **5/ 423-424**.

9 - **الصحاح**، إسماعيل بن حماد الجوهري ، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة: الرابعة- يناير 1990، **2/ 245**.

10 - **تاج العروس من جواهر القاموس** لمرتضى الزَّبيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية، (د ت ط)، **4/ 265**.

11 - **المعجم الوسيط** ، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار ، دار النشر : دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (د ت ط)، **491/1**.

العشرة إلى المائة العشر أي مقدارها العشر و(المُنَاسِبُ) **القريب** وبينهما (مُنَاسَبَةٌ) وهذا (يُنَاسِبُ)

هذا أي **يقاربه شبها** و(نَسَبَ) الشاعر بالمرأة (يَنْسِبُ) من باب ضرب (نَسِيبًا) عرض بهواها و حبها.[12]

من خلال التعريفات اللغوية السابقة لمعنى النسب والمناسبة تتمحور المعاني في الآتي:

1. الصلة والاتصال والوصلة.
2. القرابة.
3. المشاكلة.

والحقيقة أن المعنيين الأول والثاني شيء واحد، فالصلة والوصلة هما القرابة، ولذلك **نَسبُ المرء** قرابتُه لاتصالهم به في الدم.

أما حمل المناسبة على المشاكلة فبمعنى الموافقة والتشابه، قال في القاموس المحيط: "والمشاكَلَةُ : المُوافَقَةُ كالتَّشاكُلِ."[13]، أما المناسبة بمعنى القرابة والصلة ولو من وجه فليس الاتصال الكامل أو المشابهة من جميع الوجوه.

2.1. المناسبة في اصطلاح علوم القرآن:

– حاول الإمام الزركشي (ت794هـ) تعريف المناسبة بقوله: " المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها والله أعلم إلى **معنى ما رابط** بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي وغير ذلك من **أنواع العلاقات** أو **التلازم الذهني** كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه، أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب

12 - **المصباح المنير**، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، كتاب النون ، الناشر : المكتبة العلمية – بيروت، (د ت ط)، **2/ 602**.

13 - **القاموس المحيط**، مجد الدين محمد الفيروزآبادي، ، مؤسسة الرسالة– بيروت، لبنان، ط3: 1430هـ– 2009م، **ص 1019**.

الوجود الواقع في باب الخبر، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض **فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف** حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.[14]

وقد أتى السيوطي (ت901هـ) تقريبا بالتعريف نفسه في الإتقان إلا أن الزركشي قد اقتصر في التعريف على المناسبة بين الآيات وزاد السيوطي السور.[15]

وعرف علم المناسبة الدكتور نور الدين عتر نقلا عن البقاعي(ت885هـ) بقوله:" علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن."[16]

كما عرف الدكتور مصطفى مسلم المناسبات بـ: " ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها. وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها".[17]

وبالتالي فـ" المناسبة في القرآن الكريم" هو: ذلك الارتباط الموجود بين معاني أجزاء القرآن (سوره وآياته).

3.1. العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

في الحقيقة لا يحتاج المطالع لكل من المعنيين اللغوي والاصطلاحي إلى كبير جهد لمعرفة تلك العلاقة التي تجمع بينهما، فقد سبق وأن استنتج الباحث أن المناسبة ترجع في بعدها اللغوي إلى ثلاثة معان وهي: الصلة والقرابة والمشاكلة (التشابه)، وكلها تصب في الرابط الذي يجمع بين الأشياء المتقاربة والصلة بينها، وهذا ما يستعيره المعنى الاصطلاحي في التعريف بـ"المناسبة في القرآن الكريم" وهو إدراك العلاقة والصلة بين أجزاء القرآن الكريم، و الرابط الجامع لمختلف المواضيع المتنوعة والمختلفة في الظاهر، المتصلة اتصالا قد يكون بيّنا وقد يكون خفيا وهو الذي نحتاجه في باب الاستنباط.

---

14 - **البرهان في علوم القرآن** ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – بيروت ، 1391هـ، **1/ 35-36**.

15 - **علوم القرآن بين البرهان والإتقان "دراسة مقارنة"**، د. حازم سعيد حيدر ، دار الزمان – المدينة المنورة ،ط: 1420هـ، ص**138**.

16 - **علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه**، د. نور الدين عتر ، دار الغوثاني – دمشق، سورية، ط1: 1432هـ-2011م، ص**6**.

17 - **مباحث في التفسير الموضوعي**، أ.د. مصطفى مسلم، دار القلم- دمشق، سورية، ط5: 1428هـ-2007م، ص**58**.

4.1. أنواع المناسبة في القرآن الكريم:

تقسّم أنواع المناسبات في القرآن الكريم إلى قسمين رئيسين هما: مناسبات داخلية ومناسبات خارجية.

1. أما المناسبات الداخلية فهي تنتظم:
   أ. مناسبات ترتيب الآيات في السورة الواحدة.
   ب. مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له.
   جـ. مناسبة خاتمة السورة لمطلعها.
   د. مناسبة فواصل الآي للآية التي ختمت بها.
2. وأما المناسبات الخارجية ففيها الأنواع التالية:
   أ. مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها.
   ب. مناسبة ختام السورة لمطلع السورة التالية لها.
   جـ. مناسبة مطلع السورة لمطلع التي تليها.

وهناك مناسبات أخرى تتعلق بالمقاطع داخل السورة الواحدة أو مواضيع مجموعة سور مع مواضيع سور أخرى.[18]

هذا هو الحصر التفصيلي لمجموع أنواع المناسبة في القرآن الكريم، ومعظم العلماء في ذكرهم لهذه الأنواع يكادون يقتصرون على نوع دون نوع، والتقسيم الشامل المستوعب المقارب هو ما نقلناه عن الدكتور بازمول، مع الإشارة إلى أن هناك من يضيف "مناسبة اسم السورة لمحورها"[19].

من الأمثلة على المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة ما سنورده عن سورة الكهف في آخر جزء من هذه المقالة.

---

18 - **علم المناسبات في السور والآيات**، د. محمد بن عمر بازمزل ، المكتبة المكية- مكة المكرمة، ط1: 1423هـ-2002م، **ص28-29 بتصرف**؛ تجدر الإشارة إلى أن ركيزة ما يعرف بالتفسير الموضوعي هو "علم المناسبة" في القرآن الكريم.

19 - ينظر **الصفحة ب** من **المجلد الأول** من مقدمة **"التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم"** ، لمجموعة من العلماء، إشراف أ. د. مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1: 1431هـ-2010م.

ومثال مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له سورة الفاتحة –مثلا- فعمودها ومحورها "توحيد الربوبية"، وهو ظاهر في الآيات الثلاث الأولى.[20]

ومن أمثلة مناسبة خاتمة السورة لمطلعها ما اختتمت به سورة البقرة من **وصف** للرسول ﷺ وأمته المؤمنة إذ **هو من صميم مسائل الإيمان** التي افتتحت به السورة، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [البقرة:2 – 5]، فافتتاح السورة كان مدحا للذين يؤمنون بالغيب على وجه الإجمال ويؤمنون بالكتب واليوم الآخر على وجه التفصيل، ثم جاءت خاتمة سورة البقرة بوصف قائد هذه الأمة عليه الصلاة والسلام ومن اتبعه بأنهم يؤمنون بالغيب الذي افتتحت به السورة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة:28].

والشواهد على أنواع المناسبات كثيرة، ليس هنا مقام تفصيلها ولا التطرق إلى جميعها.

2. علم الاستنباط:

1.2. الاستنباط في اللغة:

الاستنباط استفعال من الفعل نَبَطَ إذ " النون والباء والطاء كلمةٌ تدلُّ على استخراج شيء. واستنبَطْتُ الماءَ: استخرجتُه، والماء نَفْسُه إذا استُخرِجَ نَبَط. ويقال: إنَّ النَّبَط سُمُّوا به لاستنباطهم المياه."[21]

وقال النووي (ت676هـ) في تهذيب الأسماء واللغات:" الاستنباط استخراج ما خفي المراد به من اللفظ، وسمي النبط والاستنباط لاستخراجهم ينابيع الأرض بحيث لا يهتدي إليها غيرهم كاهتدائهم".[22]

---

20 - **الوحدة البنائية للقرآن المجيد** ، د. طه جابر العلواني: مكتبة الشروق الدولية- القاهرة، ط1: 1427هـ-2006م، **ص82**.

21 - **معجم مقاييس اللغة** لابن فارس (**5/ 381**) ، مرجع سابق.

22 - **تهذيب الأسماء واللغات**، محيي الدين بن شرف النووي، إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية لبنان، **ج2 من القسم 158/2**.

وفي لسان العرب لابن منظور(ت711هـ) :" النَّبَط الماء الذي يَنْبُطُ من قعر البئر إذا حُفرت، وقد نبَطَ ماؤها ينْبِطُ ويَنْبُطُ نَبْطاً ونُبوطاً وأَنبطنا الماءَ أَي استنبطناه وانتهينا... وكل ما أُظهر فقد أُنْبِط، واسْتَنْبَطه واستنبط منه علماً وخبراً ومالاً استخرجه، والاسْتِنْباطُ الاستخراج.." [23]

قال الجرجاني(ت816هـ) :" الاستنباط استخراج الماء من العين من قولهم نبط الماء إذا خرج من منبعه" [24]

من خلال هذه التعاريف يمكن القول أن الاستنباط : هو استخراج ما خفي، وفيه نوع من الجهد لأن حفر البئر على الطريقة القديمة فيه مشقة وتعب، وعليه فقد استنتج فهد الوهبي من التعريفات اللغوية مايلي:

"1. اشتمال كلمة "استنباط" على السين والتاء للدلالة على الطلب وفيها معنى بذل الجهد.

2. أن الاستنباط يطلق على المحسوسات والمعنويات.

3. أن في الأمر المستنبط معنى الخفاء والغموض." [25]

2.2. مفهوم الاستنباط في الاصطلاح:

لا بد من التنبيه إلى أن الاستنباط المراد تحديد مفهومه الاصطلاحي هو الاستنباط من القرآن الكريم خاصة ومن النصوص الشرعية بصفة عامة، وليس الاستنباط بمفهومه الأعم كما عرفه الجرجاني:" استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة " [26]

لأن الذي يؤخذ على هذا التعريف قوله: "من النصوص" هكذا بصفة عامة، أما الذي نحن بصدده فهو الاستنباط من النص القرآني، ولذلك عرفه العلماء بأنه:" استخراج ما خفي من النص القرآني بطريق صحيح". [27] وهذا الأخير هو الذي يعنينا أكثر.

---

23 - **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى (د ت)، **7/ 410**.

24 - **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1: 1405هـ، **ص38**.

25 - **منهج الاستنباط من القرآن الكريم**، فهد بن مبارك الوهبي ، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي (الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة)، ط1: 1428هـ/2007م، **ص32–33** بتصرف.

26 - **التعريفات، ص38**.

27 - **منهج الاستنباط من القرآن الكريم**، فهد بن مبارك الوهبي، **ص44–45**.

لكن المهم من كل هذا أن الاستنباط لابد أن يتوفر فيه خاصيتان على الأقل:

1. خفاء الأمر المستنبط.
2. بذل الجهد في الاستنباط.

3.2. آليات الاستنباط والفرق بينه وبين التفسير:

الحديث عن آليات الاستنباط ينبغي فيه استصحاب ما تقرر من وعورة مسلكه بسبب خفاء معانيه وبذل الجهد المصاحب لذلك الاستنباط، وهذا يجرنا إلى الحديث عن الفرق بينه وبين التفسير.

لقد أكثَرَ العلماء من الحديث عن الفوارق بين الاستنباط والتفسير [28]، لكن أهم خصيصة يستقل بها الأول عن الثاني في رأيي هي خاصية خفاء المعنى المستنبَط الذي يقتضي بذل جهد خاص من قِبل المستنبِط، وبهذا يظهر الفرق واضحا بين التفسير والاستنباط.

يمكن فهم هذه القضية بالرجوع إلى كلام ابن عباس رضي الله عنه في قوله المشهور فيما يرويه الطبري عنه قال : "التفسيرُ على أربعةِ أوجهٍ: وجهٌ تعرفه العربُ من كلامها، وتفسير لاَ يُعذر أحدٌ بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لاَ يعلمه إلا الله تعالى ذكره." [29]

محل الشاهد: "وتفسير يعلمه العلماء" وفي رواية " يعلمه الراسخون في العلم".

و في قول النبي عليه الصلاة والسلام :" **أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع** " [30]

قال الشيخ شاكر في أحد تعليقاته بهامش تفسير الطبري :" الظاهر: هو ما تعرفه العرب من كلامها، وما لا يعذر أحد بجهالته من حلال وحرام. **والباطن:** هو التفسير الذي يعلمه العلماء **بالاستنباط** والفقه ". [31]

---

28 - **المرجع السابق، ص58–60.**

29 - لم يرد إلا عند الطبري برقم 72، قال: حدثنا محمد بن بشّار، قال: حدثنا مؤمَّل، قال: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، قال: قال ابن عباس ثم ساق الأثر، ينظر **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير الطبري، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1: 1420 هـ - 2000 م، **1/ 75** .

30 - **مسند أبي يعلى** (9 / 278) برقم 5403 بلفظ :" أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن" وفي **المعجم الكبير للطبراني** (9 / 136) برقم 8667 بلفظ :"إن القرآن ليس منه حرف إلا له حد ولكل حد مطلع" ، ضعف رواية أبي يعلى الألبانيُّ في **السلسلة الضعيفة** (559/6) برقم 2989، دار المعارف – الرياض، ط1 : 1412هـ/1992م.

وللإمام علي رضي الله عنه كلام مأثور، عندما سأله أبو جُحَيْفَةَ قَالَ قُلْتُ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ؟ قَالَ:" **لَا إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قَالَ: قُلْتُ: فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ الْعَقْلُ وَفَكَاكُ الْأَسِيرِ وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ.**" [32]

قال ابن حجر رحمه الله:" معناه: لكن إن أعطى الله رجلا فهما في كتابه **فهو يقدر على الاستنباط** فتحصل عنده الزيادة بذلك الاعتبار". [33]

بل إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ **[النساء: 83]**

قال الشيخ سعيد حوّى في معنى "يستنبطونه منهم" :" دلت الآية على أن هناك أناسا **عندهم قدرة على الاستنباط** للحلول والأحكام لما يجدّ أو يحدث، أو يقع. [34]

ثم "إن هذا العلم عزيز، وليس في مقدور عامة الناس ولا أكثر علمائهم الخوض فيه، وإنما **هو شأن القلة التي تمكنت منه بعد جهد واجتهاد وفتح وتوفيق** من الله تعالى". [35]

وجاء في التفسير الوسيط لمجمع البحوث:" يَسْتَنْبِطُونَهُ: يستخرجون **حقائقه المستورة الخفية، ومقاصده البعيدة.**" [36]

ويزيد الأمر وضوحا ما انتقده العلماء على مقاتل ابن سليمان — ومن تبعه كالغزالي وابن العربي –في قوله أن آيات الأحكام في حدود الخمسمائة فقط، إذ عدّوا الأحكام والمعاني المستخرجة بطريق الاستنباط، قال الزركشي:" وكأنهم رأوا مقاتل بن سليمان أول من أفرد آيات الأحكام في تصنيف وجعلها خمسمائة

---

31 - **جامع البيان في تأويل القرآن 1/ 72**.

32 - **صحيح البخاري** ،تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر : دار طوق النجاة، الطبعة : الأولى 1422هـ، **1/ 115**.

33 - **فتح الباري** لابن حجر ، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط2: 1402هـ، **1/ 165**.

34 - **الأساس في التفسير**، سعيد حوى ، الناشر: دار السلام – القاهرة، ط6: 1424 هـ، **2/ 1134**.

35 - **معالم الاستنباط في علم التفسير**، نايف بن سعيد الزهراني ، مجلة معهد الإمام الشاطبي ، العدد الرابع، ذو الحجة 1428هـ، **ص43**.

36 - **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط1: (1393 هـ = 1973 م) - (1414 هـ = 1993 م)، **2/ 862**.

آية، وإنما أراد الظاهرة لا الحصر, فإن **دلالة الدليل تختلف باختلاف القرائح**, فيختص بعضهم بدرك [ضرورة فيها] [37]، ولهذا عد من خصائص الشافعي التفطن لدلالة قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ [مريم:92] على أن من ملك ولده عتق عليه وقوله تعالى: ﴿ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [التحريم: 11] على صحة أنكحة أهل الكتاب, وغير ذلك من الآيات التي لم تسق للأحكام. وقد نازعهم ابن دقيق العيد أيضا وقال: هو غير منحصر في هذا العدد، **بل هو مختلف باختلاف القرائح والأذهان وما يفتحه الله على عباده من وجوه الاستنباط** ولعلهم قصدوا بذلك **الآيات الدالة على الأحكام دلالة أولية بالذات لا بطريق التضمن والالتزام.**" [38]

من خلال النقول السابقة يتأكد أن الاستنباط غير التفسير، حتى مع إدراجه قديما ضمن مصطلح التفسير إلا أنه تفسير خاص ، يتميّز عن التفسير: بالخفاء ، وأربابه من أهل الفطنة والقريحة والذكاء الخاص، قال ابن القيم:" **الاستنباط استخراج الأمر الذي من شأنه أن يخفى** على غير مستنبطه ومنه استنباط الماء من أرض البئر والعين، ومن هذا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد سئل: "هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة **إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه**".ومعلوم أن **هذا الفهم قدر زائد** على معرفة موضوع اللفظ وعمومه أو خصوصه فإن هذا قدر مشترك بين سائر من يعرف لغة العرب وإنما هذا فهم لوازم المعنى ونظائره ومراد المتكلم بكلامه ومعرفة حدود كلامه بحيث لا يدخل فيها غير المراد ولا يخرج منها شيء من المراد." [39]

وبناء على ما تقدّم فقد أصاب كبد الحقيقة الأستاذ فهد الوهبي عندما جعل طرق الاستنباط – التي أسميناها بالآليات – من مسائل الدلالة الخفية، حيث قال:" والذي يدخل معنا في بحث الاستنباط من القرآن الكريم هو ما كان **ضمن الدلالات الخفية** كما سبق في تعريف الاستنباط، حيث اتضح فيما مضى أن **الاستنباط يكون باستخراج المعاني والأحكام الخفية**، فما كان من الدلالات

37 ـ هكذا في النص، ولعله خطأ مطبعي، والأصح القول [ضرورة ما فيها].

38 ـ **البحر المحيط في أصول الفقه** للإمام الزركشي، تحقيق : محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1421هـ / 2000م، **4/ 490**.

39 - **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، 1388هـ/1968م، **1/ 268**.

موصلا إلى ذلك فهو من طرق الاستنباط. وبعد التأمل في دلالات الألفاظ اتضح أن الدلالات التي تدخل في طرق الاستنباط هي: دلالة الإشارة، ودلالة النص، ودلالة المفهوم، ودلالة الاقتران." [40]

فقوله " فما كان من الدلالات موصلا إلى ذلك فهو من طرق الاستنباط"، فهو يوميء إلى أن هناك عدة طرق موصلة إلى الاستنباط وليس ما اقتصر عليه بالاعتماد فقط على دلالات الألفاظ بحسب التقسيم المتعارف عليه عند أهل الأصول، وهو ما يراد إثباته في هذه الدراسة من أن **للمناسبة في القرآن الكريم علاقة وطيدة بالاستنباط.**

3. العلاقة بين المناسبة والاستنباط:

من بين طرق الاستنباط ما يؤخذ من المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة أو بين مطالع السور وخواتيمها، أو بين السور وبين التي قبلها أو التي بعدها، أو بين مختلف المواضيع المتنوعة داخل الكتاب العزيز، وهذا أساس نشأة التفسير الموضوعي، حيث يشير إلى هذه الحقيقة الشيخ مناع القطان بقوله:" وقد عني بعض المفسرين ببيان المناسبة بين الجمل، أو بين الآيات أو بين السور **واستنبطوا وجوه ارتباط دقيقة.**" [41]

وقال الزهراني:" **المناسبات بين السور والآيات وهو علم استنباطي اجتهادي** تتفاوت فيه مدارك العلماء وأنظارهم **دقة وخفاء**، ووضوحا وجلاء." [42]

وأقرب طريق – أو آليةٍ – للاستنباط من المناسبة بين الآيات والسور هو طريق **الربط والإلحاق** بين مختلف مواضيع السورة الواحدة وهو جلي في **المناسبة** بين الآية وفاصلتها خاصة، و في **أساليب القرآن المطردة** ، لأن " أسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه"[43]، ويتجلى الأمر أيضا في **دلالة السياق – اللغوي على وجه الخصوص–...**

وفائدة هذه الطرق كما قال في البرهان: "جعلُ أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك **الارتباط ويصير التأليف** حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء. وقد **قل اعتناء المفسرين**

---

40 - اقتصار الوهبي على هذه الطرق ليس حصرا لها، بل إنه ذكر فقط ما أداه إليه اجتهاده، ينظر: **منهج الاستنباط من القرآن الكريم**، فهد الوهبي، **ص 294**.

41 - **مباحث في علوم القرآن**، مناع القطان، مكتبة المعارف – الرياض، ط8: 1408هـ-1988م، **ص 98**.

42 - **معالم الاستنباط في علم التفسير**، نايف الزهراني، **ص 52**.

43 - **منهج الاستنباط من القرآن الكريم**، فهد الوهبي، **ص 337–338**.

بهذا النوع لدقته وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي وقال في تفسيره أكثر **لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط**[44] ، وقال بعض الأئمة من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعا." [45]

وهنا يأتي الاستنباط لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيب والروابط، وهل الاستنباط غير هذا، و عليه فإن آليات الاستنباط في المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة تكمن فيما يلي:

1. التدبر في الاقتران بين الجمل في الآية الواحدة أو بين الآية والآية.[46]
2. التدبر في الاقتران بين الآية والفاصلة القرآنية.
3. النظر إلى السباق والسياق واللحاق في كامل السورة لمعرفة وجوه الارتباط بين مختلف الآيات لإدراك العلاقة بين المطلع والخاتمة أو بين المقطع والمقطع، أو بين مضمون السورة واسمها.

ويمكن ملاحظة أن المناسبة بين الكلمات أو الآيات المتجاورة فيها أمر ثابت وهو: **اتحاد الموضوع وانسجام السياق** [47]، كذلك بالنسبة لمناسبة فواتح السور لخواتمها " حيث نجد أن السورة **تبدأ بأمر ثم تختم بنفس الموضوع** "[48]، أما ما تعلق بالمقاطع والمطالع والخواتيم فيكون **باستقراء المعاني المختلفة** و إدراك أوجه الترابط المعنوية فيما بينها.

هذا بالنسبة للمناسبة بين الآيات في السورة الواحدة، أما بالنسبة للمناسبة بين السور فيُنظر إلى:

1. الاقتران بين خاتمة السورة السابقة ومطلع اللاحقة، لأن "الرابط بين السور إما أن يكون لفظيا وظاهرا بين أول السورة وختام ما قبلها. والظاهر يكون **بتكرار اللفظ** أو **مرادفه** ويكون أحيانا **بالمعنى المستفاد** أو **بعلاقة الإسناد**[49] أو **التعلق بالعامل**[50]...إلخ"[51]

---

44 - ذكر الزهراني أن من إطلاقات العلماء على المعاني المستنبطة " لطائف ومُلح ونكت الآيات" ، ينظر **معالم الاستنباط ص 43**.

45 - **البرهان في علوم القرآن (36/1)**.

46 - قد عرض العلماء تفاصيل كثيرة عن أوجه الارتباط بين الجمل في الآية الواحدة أو بين الآية والآية يستحسن الرجوع إليها في مظانها لم نوردها لكثرتها. ينظر في ذلك "**علم المناسبات في السور والآيات**" د. محمد بن عمر بازمول **ص44–54**.

47 - **مباحث في التفسير الموضوعي**، أ.د. مصطفى مسلم **ص 71**.

48 - **المرجع نفسه ، ص 74**.

49 - علاقة الإسناد في باب النحو إلحاق الفعل بالفاعل أو نائبه (في الجملة الفعلية) أو الخبر بمبتدئه (في الجملة الإسمية).

2. العلاقة بين مضمون السورة الأولى مع مضمون السورة اللاحقة " وقد ذهب الإمام السيوطي إلى أن كل سورة ورد فيها إجمال في شيء ما فإن السورة اللاحقة لها تأتي بتفصيل هذا الإجمال".[52]

3. إضافة إلى ما سبق يمكن أن يؤخذ في الاستنباط بعين الاعتبار أيضا الآليات الأخرى من الدلالات الخفية التي سطرها الأصوليون، والتي ألمح إليها الوهبي في كتابه "منهج الاستنباط من القرآن الكريم" والتي منها دلالات: الإشارة والنص والمفهوم والاقتران...إلخ، خصوصا في المناسبة بين الجمل في الآية الواحدة أو بين الآية والآية.

4. أثر المناسبة في الاستنباط من سورة الكهف:

سبب اختياري لسورة الكهف بالذات: ما لها من فضائل عديدة، ولعل السر في الحث على قراءتها يوم الجمعة كما ثبت في العديد من الأحاديث أنها عصمة من الدجال الذي هو قمة الفتن في آخر الزمان، وكم نحن في حاجة إلى العصمة من الفتن في الظروف التي تمر بها أمتنا اليوم.

- فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: " مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ **سُورَةِ الْكَهْفِ** عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ".[53]

- وعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ « مَا شَأْنُكُمْ؟ ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَقَالَ: « غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ

---

50 - التعلق بالعامل هو: عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم ... وتعليل الإعراب... فالعامل مصطلح قصد منه بيان الارتباط والتعلق بين أجزاء التراكيب... ينظر: **شرح مبسط لنظرية العامل**، سامي الفقيه الزهراني بتاريخ: 2007/07/07:
www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php

51 - **مباحث في التفسير الموضوعي**، أ.د. مصطفى مسلم **ص82**.

52 - **المرجع نفسه، ص84**.

53 - **صحيح مسلم** ، برقم 809، دار ابن حزم – بيروت، ط1: 1423هـ- 2002م، **ص324** .

طَائِفَةٌ كَأَنِّ أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ **فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ** إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالاً يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا »[54]

- وعن أبي سعيد الخدري قال: "مَنْ قَرَأَ **سُورَةَ الكَهْفِ** لَيْلَةَ الجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّور فيما بينه وبين البيت العتيق".[55]
- وعن البراء بن عازب قال: كان يقرأ **سورة الكهف** وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين[56] فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه و سلم فذكر ذلك له، فقال: "تلك السكينة تنزلت بالقرآن" [57]

لقد مرّ الاعتماد في هذه الدراسة على نوعين أساسيين من المناسبة في القرآن الكريم: **المناسبة بين الآيات** في سورة الكهف، و**المناسبة بين المواضيع والمقاطع** فقط بما يسمح به المقام، وعليه سيكون العمل هو تقطيع السورة إلى مقاطع وذكر العلاقة بين كل مقطع ومقطع، وضمن كل مقطع ستظهر المناسبة بين الآيات في المقطع الواحد، ومن خلال تلك المناسبات سيتم استنباط الكثير من المعاني والفوائد.

لكن قبل أن يتم التطرق إلى المقاطع والمناسبات، يستحسن معرفة المحور الذي تدور حوله السورة، "ذلك أن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد، يتعلق آخره بأوله، وأوّله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وأنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية. وهذا ما يسمى بـ"الوحدة الموضوعية" للسورة."[58]

54- **المصدر نفسه** ، برقم 2937، ص**1260**.

55- **الحاكم 2/ 368** و**البيهقي 3/249** وحكم عليه ابن حجر في التلخيص الحبير بالرفع، وكذا الألباني. ينظر **الصحيح المسند من فضائل الأعمال**، لأبي عبد الله المغربي ، دار ابن عفان، السعودية، ط1: 1416هـ- 1996م، **426/2**.

56- بشطنين: تثنية شطن وهو الحبل . **معجم مقاييس اللغة لابن فارس 3 / 184**.

57- **صحيح البخاري 4/ 1914**.

58 - **علم المناسبات في السور والآيات**، د. محمد بن عمر بازمول **ص43**.

يقول الشيخ الميداني: "على متدبر كتاب الله أن يضع نصب عينيه ضمن أهداف بحثه وتدبره التوصل إلى اكتشاف الموضوع الذي تدور حوله السورة القرآنية، وهذا يستدعي منه أن يبحث بأناة وتفكير عميق بحثا كليا شاملا للسورة، **ويتتبع ارتباط آياتها، ومعاني جملها بهذا الموضوع** ، أو بما **تفرع عنه** من عناصر، وما اتصل به من **موضوعات جزئية وأحكام وشواهد.**

فلهذا البحث فوائد جمة يتوصل إليها **ذوو الأهلية والكفاية لهذا العمل من أهل الاستنباط،** وباكتشاف الترابط قد تصحّح مفاهيم، وترجّح تفسيرات لأن ترابط المعاني يقتضيها أو يرجحها أكثر من غيرها." [59]

1.4. محور السورة والمناسبة بينه وبين اسمها:

يرى الكثير من العلماء أن محور السورة **ومضمونها يدور حول موضوع الفتنة بأنواعها وكيفية الخروج منها،** فإن الهدف من نزول سورة الكهف هو "العصمة من أمواج الفتن المتلاطمة وحشودها المتلاحمة، فتن متنوعة متباينة متزاحمة متراكمة، تجعل الحليم حيران: فتنة السلطان وفتنة الشباب، وفتنة الأهل والعشيرة، وفتنة المال، وفتنة الولد، والاغترار بالدنيا الفانية، وفتنة إبليس اللعين، وفتنة العلم، وفتنة يأجوج ومأجوج، وفتنة الأهواء." [60]

فسورة الكهف تعرض لجميع أنواع الفتن وتبيّن السبيل المُنجية منها، وتسميتها بسورة الكهف ليس عرضا، **فالاسم مأخوذ من القصة الأولى المعروضة في السورة وهي قصة أصحاب الكهف،** وهو كهف حسي معروف، لكن الفتن التي تتحدث عنها السورة تستدعي وجود كهوف أخرى معنوية يلجأ إليها الهاربون من الفتن المتعددة، "ولهذا فسورة الكهف سورة مليئة بالكهوف.. ولكنها كهوف معنوية.. إن الكهف الحقيقي في هذه السورة هو ما ذكر في أولها .. والكهف فجوة في الجبل

---

59 - **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل،** الشيخ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني ، دار القلم –دمشق، ط:5، 1433هـ/2012م، **ص27.**

60 - **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،** مجموعة من العلماء، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، **المجلد الرابع ص287–288.** يرى سيد قطب في تفسيره "الظلال" أن " المحور الموضوعي للسورة الذي ترتبط به موضوعاتها ، ويدور حوله سياقها ، فهو تصحيح منهج النظر والفكر . وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة " ، والحقيقة أن هذا العنوان الذي اختاره سيد قطب لموضوع السورة لا يتعارض مع ما أثبته غيره من العلماء، فموضوع الفتنة ذو ارتباط وثيق بموضوع العقيدة، والحديث عن أنواع الفتن التي تعترض المؤمن في هذه الدنيا يصحبه تصحيح للمفاهيم ولمنهج النظر والفكر. ينظر **في ظلال القرآن** ، دار الشروق–القاهرة، ط15: 1408هـ–1988م،**4/ 2257** .

تحجب من فيها من الناس فمن أراد أن يختبيء من قوم يطاردونه.. أو لصوص يريدون سرقته أو قتله.. فإنه إن كان في منطقة جبلية فإنه يلتجئ إلى الكهف.." [61]

أما الكهوف المعنوية فهي التي يلجأ إليها المؤمنون من الفتن الأخرى المتنوعة، وهنا **يظهر الاستنباط جليا** من خلال **الربط بين مختلف مواضيع السورة** التي تتحدث عن أنواع الفتن التي يجمعها رابط واحد هو الفتنة في حدّ ذاتها، كما يظهر جليا في **الربط بين مضمون السورة وتسميتها**. وهذا نوع من أنواع الاستنباط.

والكهوف المعنوية كما يعددها الشيخ الشعراوي: الكهف الأول المنجي من فتنة المال في قصة صاحبي الجنتين، ثم الكهف المنجي من الاغترار بالعلم في قصة موسى والخضر عليهما السلام، فالكهف الثالث الحاجب عن فتنة السلطان والقوة العسكرية في قصة ذي القرنين، والكهف المعنوي الرابع ضمن قصة ذي القرنين وهو العصمة من فتنة يأجوج ومأجوج الذين سيظهرون في آخر الزمان، وأخيرا اللجوء إلى الكهف الأخير من الاغترار بالحياة الدنيا بصفة عامة وزخرفها والافتتان بنعيمها الزائل ونسيان الآخرة. [62]

والسورة في عمومها "تبرز لنا طريق النجاة من جميع الفتن، فتنة السلطان وفتنة الأهل والعشيرة وفتنة المال وفتنة الولد وفتنة العلم وفتنة إبليس اللعين وفتنة القوة والتمكين من خلال قصة ذي القرنين، وفتنة يأجوج ومأجوج وفتنة اتباع الأهواء والاغترار بزخرف القول، مما
يتواكب مع خواص السورة وفضائلها وعصمتها لتاليها من الفتن الحوالك." [63]

على أنه يجب استحضار أن من فضائل السورة: قراءتها للعصمة من الدجال كما ثبت في الأحاديث المتقدمة، ولأن **فتنة الدجال هي أعظم فتنة عرفها التاريخ الإنساني**: فعَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلاَلٍ عَنْ رَهْطٍ مِنْهُمْ أَبُو الدَّهْمَاءِ وَأَبُو قَتَادَةَ قَالُوا كُنَّا نَمُرُّ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ نَأْتِى عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: إِنَّكُمْ لَتُجَاوِزُونِى إِلَى رِجَالٍ مَا كَانُوا بِأَحْضَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– مِنِّى وَلاَ أَعْلَمَ

61 - **سورة الكهف**، الشيخ محمد متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة، القاهرة (د ط ت)، **ص 7**.

62 - ينظر **المرجع السابق** فهو من أوله إلى آخره تشريح لمواضيع سورة الكهف، وقد أبدع فيه الشيخ الشعراوي كما عرف عنه رحمه الله.

63 - **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، مجموعة من العلماء، إشراف أ.د. مصطفى مسلم ، **المجلد الرابع ص302**.

بِحَدِيثِهِ مِنِّي ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ:" مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ **خَلْقٌ أَكْبَرُ** مِنَ الدَّجَّالِ" [64]

وفي رواية في مسند أحمد قال: عن هشام بن عامر قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ **أَمْرٌ أَعْظَمُ** مِنْ الدَّجَّالِ". [65]

2.4. الفوائد المستنبطة من المناسبة بين مقاطع السورة:

1.2.4. مقاطع السورة:

قسّم الشيخ الشعراوي مقاطع السورة إلى ستة أقسام [66]، وهي بحسب القصص المعروضة في السورة:

1) فالأولى قصة أصحاب الكهف وأسماها الكهف الأول.
2) الكهف الثاني: قصة صاحب الجنتين.
3) الكهف الثالث: قصة موسى مع الخضر.
4) الكهف الرابع: قصة ذي القرنين.
5) الكهف الخامس: وقفة مع يأجوج ومأجوج رغم أنها جزء من قصة ذي القرنين.
6) الكهف السادس: وقفة مع الذين عملوا للدنيا الأخسرين أعمالا، وهي قصة ليست ماضية وإنما مستقبلة.

أما الأستاذ مصطفى مسلم بمعية مجموعة من العلماء فكانوا أكثر تفصيلا بحيث جعلوا بعض المقاطع – بحسب تقسيم الشيخ الشعراوي– أكثر من مقطع فكانت تسعة مقاطع: الأول: من الآية 1 من سورة الكهف إلى الآية 8، المقطع الثاني: من الآية 9 إلى الآية 31، المقطع الثالث: من الآية 32 حتى 44 المقطع الرابع: من 45–49 الآيات، المقطع الخامس: من الآية 50 إلى الآية 53 ، المقطع السادس: من الآية 54 إلى الآية 59، المقطع السابع: ما

---

64 - **صحيح مسلم** ، برقم 2946، **ص1267**.

65 - **مسند أحمد** من حديث هشام بن عامر الأنصاري رضي الله عنه برقم 16255، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثانية 1420هـ ، 1999م، **26/ 187**، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم 451 ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي الناشر : مكتبة العلوم والحكم – الموصل ،الطبعة الثانية ، 1404 – 1983، **22 / 174**.

66 - ينظر **سورة الكهف**، الشيخ الشعراوي من أول الكتاب إلى آخره. (مرجع سابق)

بين الآيتين: 60 و82 ، المقطع الثامن: ما بين الآيتين: 83 و98، المقطع التاسع: وهو المقطع الأخير وخاتمة السورة.[67]

2.2.4. الفوائد المستنبطة من المناسبة بين مقاطع السورة:

بالنسبة للفوائد المستنبطة من المناسبة سنحاول أخذ نماذج فقط بما يسمح به المقام، لأن المقام ليس مقام التفسير والتعريج على كامل السورة.

---

67 – 1) المقطع الأول: تمهيد للسورة يبدأ من الآية 1 من سورة الكهف إلى الآية 8، وهو يتحدث عن نزول القرآن الكريم سماته ومقاصده، ثم تثبيت للنبي عليه الصلاة والسلام ، وبعده حديث عن حقيقة الحياة الدنيا.

2) المقطع الثاني: قصة أصحاب الكهف وهي من الآية 9 إلى الآية 31، تحتوي على قصة الفتية الذين فروا من قومهم ومن بطش المجتمع المستسلم للطغيان، حيث أووا إلى كهف عصمهم من كل الفتن وناموا فيه ثم بعثهم الله ليكونوا آية في زمانهم على قدرة الله في الإحياء والإماتة.

3) المقطع الثالث: قصة صاحب الجنتين وهي من الآية 32 حتى 44 وتتضمن الحديث عن رجل فتنته أمواله وجنتاه بخلاف رجل آخر هو مثل المؤمن القانع بما أعطاه الله له وهو على عكس الأول راج رحمة ربه.

4) المقطع الرابع: الحديث عن حقيقة الحياة الدنيا وأنها لا تساوي شيئا عند الله تعالى مقارنة بالآخرة، وما أعده الله للمجرمين المفتونين بالدنيا، وهذا المقطع من 45-49 الآيات.

5) المقطع الخامس: من الآية 50 إلى الآية 53 وهي الحديث عن فتنة الشيطان وكيف يتوقاها المؤمن.

6) المقطع السادس: يتحدث عن العصمة من الفتن كلها وهو كتاب الله تبارك وتعالى وسماته ومقاصده ومظاهر الصدود عنه ودوافعه، والمقطع من الآية 54 إلى الآية 59.

7) المقطع السابع: ما بين الآيتين: 60 و82 وهي قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام، وهي في مضمونها تتحدث عن حكمة الله تعالى وعلمه والغيب الذي لا يُطلِع عليه إلا من أراد، وفيها تحذير من الافتتان بنعمة العلم.

8) المقطع الثامن: وهي قصة ذي القرنين عليه السلام إذ تمثل نموذج الرجل الصالح الذي أوتي القوة والسلطان ولم يفتتن بهما، والقصة ما بين الآيتين: 83 و98.

9) المقطع التاسع: وهو المقطع الأخير وخاتمة السورة وفيه الحديث المتناسق مع مطلع السورة: حديث عن الآخرة وما فيها من جزاءين: جزاء المفتونين بالدنيا و جزاء مقابلهم ممن لم تفتنهم، ثم الاختتام كما مطلع السورة بالحديث عن كلمات الله ووحيه سبحانه وتعالى وهو العصمة من الفتن المذكورة في جميع ثنايا السورة.

ينظر **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم** ، أ. مصطفى مسلم وآخرون ، **المجلد الرابع ص 283– 402** باختصار.

1- المناسبة العامة بين جميع المقاطع:

من خلال ما سبق من مقاطع يمكن الربط بينها برباط محكم موحّد استنادا إلى المحور الأساسي الذي تدور حوله السورة كما هو في البداية، إذ إن المحور الأساس كما مر هو **الحديث عن أسباب الفتنة بأنواعها**: السلطان والمال والعلم والقوة والشيطان... والدنيا بصفة عامة، وما المخرج الذي ينجينا من هذه الفتن المتعددة.

وآلية هذا الاستنباط هي استقراء جميع المعاني الخاصة بكل مقطع وتحليلها وجمعها في المعنى العام المشترك.

2- العلاقة بين البداية والنهاية في السورة، أي بين المطلع والخاتمة:

لقد بدأ الحديث عن وحي الله تعالى المتمثل في القرآن الكريم وخصائصه ومميزاته ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ الكهف: 1 ، جاء الحديث عن هذا الوحي في نهاية السورة ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾ الكهف: 110،

- **المعنى المستنبط هو**: التوجيه إلى مرجع الوقاية من الفتن وهو الوحي المنزل الذي ابتدأت بالتوجيه إليه السورة ابتداء وانتهاء.

– آلية هذا الاستنباط: مأخوذة من الرابط المعنوي الذي يجمع كلا من الكتاب والوحي، إذ بينهما عموم وخصوص، حيث أن الأخير يتضمن الأول.

2- المناسبة بين المقطع الأول والمقطع الثاني:

- المقطع الأول يتحدث عن كتاب الله تعالى الممثل في **الوحي الإلهي للناس من أجل العصمة من الفتن**، كما أن المقطع الأول **يتحدث عن العقيدة خصوصا عقيدة اليوم الآخر** والتي يظهر أن أقوام أهل الكهف يكفرون بها.

- أما المقطع الثاني فهو قصة أصحاب الكهف التي سميت السورة باسمها.

- **والمعنى المستنبط** من الربط بين المقطعين: أن أصحاب الكهف والرقيم اعتزلوا مجتمعهم وخالفوه وذلك **أثر من آثار نزول الوحي**، لأن الوحي الإلهي يقسّم المجتمع إلى قسمين: مؤمنون به متبعون له، وكافرون به محاربون له، وهو فعلا ما حصل بين المؤمنين أصحاب الكهف وقومهم، **والحديث عن اليوم الآخر** في الافتتاح يرتبط ارتباطا وطيدا بالحكمة من سوق القصة

في حد ذاتها **لأن أصحاب الكهف كانوا آية على البعث والنشور**، قال سبحانه وتعالى ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ الكهف: 9 ، ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۝١٧﴾ الكهف: 17، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۗ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۝٢١﴾ الكهف: 21.

- **فالمعنى المستنبط إجمالا** هو الحديث عن آية الله سبحانه في الإحياء والبعث وما يتلو ذلك في اليوم الآخر **ومن دلائله قصة أصحاب الكهف**.
- **وآلية الربط** هنا المناسبة بين المقطعين وهي **تكرار مادة "الآية"** وكذا **المعاني المشتركة** المفيدة في الاستنباط .[68]

3- المناسبة بين المقطع الثاني والثالث:

- **المعنى المستنبط**: عند اختتام قصة أصحاب الكهف وبيان لجوئهم من فتن زمانهم إلى **المأوى الذي أبعدهم عن المدلهمات**، بدأ الحديث مباشرة عن **الوحي مرة أخرى الذي هو عصمة من الفتن** ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ الكهف: 27، لكن زادت السورة توجيها آخر للعصمة من الفتن، وهو **الاعتصام بجماعة المؤمنين** والثبات معهم ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ الكهف: 28.
- **آلية الربط**: آلية الربط في هذا الاستنباط هي **النظر إلى المحور الرئيسي للسورة** وهو الفتن وكيفية العصمة منها، ومن طرق العصمة الالتزام بالجماعة [69]، وهذا المنهج كما يقول الشيخ

68 - يذكر الدكتور عمر بازمول أن هذا النوع يسمى بالمزج المعنوي ومن أسبابه كما في هذا المثال "حسن الطلب" ، فيكون المعنى أن الله تعالى يتحدث عن اليوم الآخر ودلائله فكانت الوسيلة إلى التدليل على ذلك قصة أصحاب الكهف. ينظر في أسباب المزج المعنوي: **علم المناسبات في السور والآيات**، د. محمد بن عمر بازمول **ص46-53**.

69 - على استنباط الشيخ الشعراوي تعتبر الجماعة كهفا من الكهوف المعنوية .

دراز " لا يتقدم الناظر إلى البحث عن الصلات الموضعية بين جزء وجزء منه- وهي الصلات المبثوثة في مثاني الآيات ومطالعها ومقاطعها – إلا بأن **يحكم النظر في السورة كلها** بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معوانا له على السير في تلك التفاصيل عن بينة" [70]

ثم جاء الحديث عن قصة صاحب الجنتين حيث يمثل نموذج الكبر والانحراف عن شكر النعمة، ومقابلُه هو الرجل الصالح الذي يمثل الفئة الأخرى أي فئة المؤمنين المتقين الشاكرين.

4- المناسبة بين المقطع الثالث والرابع والخامس والسادس:

جاء في ثنايا المقطع السادس أيضا **التوجيه إلى كتاب الله تعالى ووحيه** المتمثل في القرآن الكريم بعد الحديث عن فتنة المال في قصة صاحب الجنتين في المقطع الثالث وعن فتنة الدنيا بصفة عامة في المقطع الرابع وعن فتنة الشيطان في المقطع الخامس.

- **المعنى المستنبط: التوجيه إلى الأساس الأول العاصم من الفتن وهو كتاب الله تعالى ووحيه؛** قال سبحانه وتعالى في المقطع السادس: ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ٥٤ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ٥٥ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ٥٦ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذٗا أَبَدٗا ٥٧ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ٥٨ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ٥٩ ﴾الكهف: 54-59

- **آلية الربط:** مثل الاستنباط السابق آلية الربط هنا هي **النظر إلى المحور الرئيسي للسورة** وهو الفتن وكيفية العصمة منها، لكن المرجع المنجي والعاصم هنا هو الوحي والكتاب.

ثم ينتقل الحديث مرة أخرى عن نوع آخر من الفتنة ألا وهي فتنة العلم في قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام.

70 - **النبأ العظيم** ، د. محمد عبد الله دراز **ص 158-159**.

بعد هذا العرض لبعض **المناسبات في المقاطع** كنماذج – التزاما من الباحث بعدم ذكر جميع المناسبات– سينتقل الحديث إلى الاستنباطات من **المناسبة بين الآيات** في كل مقطع كنماذج أيضا بما تسمح به مساحة هذه المقالة.

3.4. الفوائد المستنبطة من المناسبة بين الآيات في كل مقطع:

1.3.4. الفوائد المستنبطة من المناسبة بين آيات المقطع الأول:

– **المعنى المستنبط على الإجمال:** آيات المقطع الأول جاءت متسلسلةً مرتبةَ المعاني **ممهِّدةً للقصص المتتالي** في ثنايا هذه السورة **خادمةً للموضوع** الرئيس الذي هو الفتن بأنواعها وكيفية الخروج منها.

– **آلية الربط:** وأهم آلية في الربط بين مختلف آيات وأجزاء المقطع الأول –كغيره من المقاطع فيما بعد– هي **التدبر في المعنى الجامع بينها، فتأتي المعاني الفرعية متجانسة مترابطة وهو ما يسعفنا به علم المناسبة في القرآن الكريم.**

– **المعنى المستنبط تفصيلا:** بدأت سورة الكهف بحمد الله على النعمة المتمثلة في القرآن الكريم الذي هو أساس العصمة من الفتن، ثم وصفٌ لخصائص هذا القرآن، يتلوه ذكرٌ للهدف من إنزاله وهو الإنذار والبشارة المتعلقان باليوم الآخر.

ثم توجّه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أجل تسليته بأن لا يهتم بالمكذبين وأن الهدف من خلقهم وخلق الناس أجمعين هو الابتلاء، كل هذا تمهيدا للقصص المتلو في غضون السورة **لإعلامه** صلى الله عليه وسلم **بأن العناية الإلهية حاضرة كما حضرت في حياة أهل الكهف** وغيرهم ممن لم تزعزعهم فتنة أو تشككهم واقعة، قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ٨﴾ الكهف: 1-8.

2.3.4. الفوائد المستنبطة من المناسبة بين آيات المقطع الثاني:

آيات المقطع الثاني كلها متناسقة منسجمة مع بعضها لأنها كلها حول قصة واحدة وهي قصة أصحاب الكهف، وهي تستغرق حوالي اثنين وعشرين آية، فحتى مع التعقيب على القصة ببضع آيات إلا أن التناسب بينها واضح ظاهر، **لكن هناك بعض الأسرار الخفية والمعاني الدقيقة.**

- **المعاني المستنبطة وآليات الاستنباط:** فهذه بعض الاستنباطات في التناسب بين كلمات وجمل وآيات هذا المقطع نقتطف نبذا منها:

1- قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ الكهف: 9 ،" (**أم**) للإضراب الانتقالي من غرض إلى غرض. ولما كان هذا من المقاصد التي أنزلت السورة لبيانها لم يكن هذا الانتقال اقتضابا بل هو **كالانتقال من الديباجة والمقدمة إلى المقصود.**

على أن **مناسبة الانتقال** إليه تتصل بقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾الكهف:6، إذ كان مما صرف المشركين عن الإيمان إحالتهم الإحياء بعد الموت، فكان ذكر أهل الكهف وبعثهم بعد خمودهم سنين طويلة مثالا لإمكان البعث." [71]

2- تقديم المسند إليه على المسند الفعلي في جملة: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾

الكهف: 13، يفيد الاختصاص، أي **نحن لا غيرنا يقص قصصهم بالحق.** والحق: هنا الصدق. والصدق من أنواع الحق، والباء للملابسة، أي **القصص المصاحب للصدق لا للتخرصات.** [72]

3- التعقيب على قصة أصحاب الكهف بقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ

71 - **التحرير والتنوير** للشيخ الطاهر ابن عاشور ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة : الأولى، 1420هـ/2000م، **15/ 18**.

72 - **المرجع نفسه 15/ 28.**

عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ الكهف:28، إذ أن **العلاقة بين القصة والتعقيب عليها بهذه الآية علاقة خفية فهي من باب الإشارة**، فكما أن أصحاب الكهف اختاروا مفارقة قومهم جماعةً والاجتماع على الحق مع رفقاء الإيمان ، فكذلك أنت يا محمد اصبر نفسك مع أمثالهم... **والمعنى المستنبط** هو أن الداعي لابد أن يتجرد من المقاييس الأرضية والاعتبارات الزائلة إذا ما أراد الفلاح والنجاح كما حصل لأهل الكهف.

3.3.4. الفوائد المستنبطة من المناسبة بين آيات المقطع السابع:

النموذج الموالي في ذكر ما يُستنبَط من المناسبة بين الآيات في المقطع السابع في قصة موسى والخضر عليهما السلام، وهو وجه مناسبة ذكر كلمات "فأردت" و"فأردنا" و"فأراد" وهي كالآتي:

1- كلمة: "فأردت" في قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ الكهف: 79 ،

5- وكلمة "فأردنا" في قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ الكهف: 80-81 ،

6- وكلمة "فأراد" في قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ الكهف: 82.

- **المعنى المستنبط**: إن الملاحظ لمادة "أراد" بجميع تصريفاتها في الآيات قد يظن أنها تؤدي نفس المعنى في الظاهر، لكن الحقيقة غير ذلك، لأن كل كلمة ناسبت المقام والمعنى المراد من كل آية.

1- ففي الآية الأولى أي استعمال كلمة "فأردت" بإسناد الفعل إلى الخضر عليه السلام، إذ كان المقام في تصرف الخضر عليه السلام-كما يقول الشيخ ابن عاشور- :" **قائم مقام تصرف المرء في ماله** بإتلاف بعضه لسلامة الباقي. فتصرفه الظاهر إفساد وفي الواقع إصلاح لأنه من ارتكاب أخف الضررين. وهذا أمر خفي لم يطلع عليه إلا الخضر. فلذلك أنكره موسى".

2- أما في الآية الموالية كان مقام الحديث في تصرف الخضر في قتل الغلام بوحي من الله جار على **قطع فساد خاص علمه الله وأعلم به الخضر بالوحي، فليس من مقام التشريع** " ، فناسب قوله تعالى "فأردنا" الاختصاصَ بالباري تعالى.[73]

3- وأما كلمة "فأراد" في الآية التي تلي، أي في قصة بناء الجدار " فالخضر تصرف في شأنها عن إرادة الله اللطيف باليتيمين جزاء لأبيهما على صلاحه. إذ علم الله أن إياهما كان يهمه أمر عيشهما بعده. وكان قد أودع تحت الجدار مالا. ولعله سأل الله أن يلهم ولديه عند بلوغ أشدهما أن يبحثا عن مدفن الكنز تحت الجدار بقصد أو بمصادفة. فلو سقط الجدار قبل بلوغهما لتناولت الأيدي مكانه بالحفر ونحوه فعثر عليه عاثر، فذلك أيضا لطف خارق للعادة. **وقد أسند الإرادة في قصة الجدار إلى الله تعالى دون القصتين السابقتين لأن العمل فيهما كان من شأنه أن يسعى إليه كل من يقف على سره، لأن فيهما دفع فساد عن الناس، بخلاف قصة الجدار فتلك كرامة من الله لأبي الغلامين.**"[74]

و للإمام فخر الرازي رأي في المناسبات بين "إرادات" الآيات في القصة الواحدة بقوله:" بقي في الآية سؤال ، وهو أنه قال: {فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا} وقال : {فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً} وقال : {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا} كيف اختلفت الإضافة في هذه الإرادات الثلاث وهي كلها في قصة واحدة وفعل واحد ؟

والجواب : أنه **لما ذكر العيب أضافه إلى إرادة نفسه** فقال: أردت أن أعيبها، ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع **تنبيهاً على أنه من العظماء** في علوم الحكمة **فلم يقدم على هذا القتل إلا لحكمة عالية** ، ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله تعالى، **لأن المتكفل بمصالح الأبناء لرعاية حق الآباء ليس إلا الله سبحانه وتعالى.** "[75]

---

73 - **المرجع نفسه 15/ 118**.

74 - **المرجع السابق 15/ 119**.

75 - **مفاتيح الغيب** ، الإمام فخر الدين الرازي الشافعي ،دار الكتب العلمية - بيروت -، ط1: 1421هـ - 2000 م، **138/21**.

- **آلية الاستنباط:** لا شك أن العلاقة بين الآيات المختلفة واضحة وهي أن سياق القصة الواحد، لكن **بالتدبر في اختلاف تصريف الكلمة الواحدة أثناء الحوار مع أن المقام في الظاهر يقتضي عدم ذلك** ملفت للنظر.. وهو ما دفع العلماء إلى استنباط تلك المعاني الخفية من السياق.
-

5.نتائج الدراسة:

لقد أبانت هذه الدراسة عن الكثير من الفوائد والنتائج نجملها فيما يلي:

1- علم المناسبة في القرآن العظيم علم جليل فيه بيان السر من وراء ترتيب آياته.

2- يختص الاستنباط من القرآن بما خفي من لطائف التفسير.

3- الاستنباط من القرآن الكريم يفتح الباب أمام المتدبر لكتاب الله تعالى لعله يقف على كل جديد يختزنه القرآن الكريم يظهر في موعده المحدد له متى أذن الله في ذلك.

4- هناك علاقة جدّ وطيدة بين علم المناسبة وعلم الاستنباط، لأن الكثير من المناسبات في القرآن خفية لا يدركها إلا أصحاب العقول المتقدة والقرائح المستنيرة، وهم أهل الاستنباط.

5- الكثير من المناسبات (الروابط) هي معان استنباطية خفية، وخير دليل على ذلك اختلاف أقوال العلماء في تلك المناسبات في المواضع نفسها.

6- في سورة الكهف المختارة حقلا لهذه الدراسة فوائد جمة حاول الباحث أن يستنبط جزءا منها بالاعتماد على علم المناسبة، كما رجع في جزء منها إلى أقوال بعض العلماء.

7- اقتصرت الدراسة على استخراج واستنباط بعض الفوائد والمعاني كنماذج، ولم تتطرق إلى جميع الاستنباطات من سورة الكهف.

والحمد لله رب العالمين